قَطْع الميل الأخير

تحسين الخدمات اللوجستية في إفريقيا جنوب الصحراء قد يكون العامل الرئيسي للنجاح في توصيل اللقاحات

يوجين بيمبونغ نيانتاكي وجوناثان مونيمو

لا يزال لدى منطقة إفريقيا جنوب الصحراء عدد قليل للغاية من اللقاحات لعدد قليل للغاية من الناس. ويستحق توصيل المزيد من اللقاحات إلى المنطقة أولوية قصوى في الجهود المبذولة للقضاء على السلالات المتحورة الجديدة التي يمكن أن تُخرِج التعافي العالمي عن مساره الصحيح. ومع ذلك، من المرجح أن يواجه صناع السياسات والمجتمع الدولي عقبة أخرى ينبغي التغلب عليها للنجاح في نشر اللقاحات، وهي: ضعف جودة التجارة والخدمات اللوجستية في المنطقة.

ولا توجد رحلة أكثر أهمية في تحديد مصير الجائحة من المسافة التي يجب أن يقطعها اللقاح من خط الإنتاج إلى ذراع الشخص المتلقي. ويتسم الميل الأخير في هذا السباق المهم الذي تشهده إفريقيا جنوب الصحراء بأهمية بالغة.

وتوضح بيانات مستمدة من قاعدة بيانات مؤشر أداء الخدمات اللوجستية الصادر عن البنك الدولي — وهو مؤشر بديل جيد للوجستيات النقل والتوزيع — أن درجة مؤشر أداء الخدمات اللوجستية لأفريقيا تبلغ نحو ٢،٥ فقط في المتوسط. وتتراوح درجات المؤشر من ١ إلى ٥، حيث تمثل الدرجات الأعلى أداءً أفضل في مجال الخدمات اللوجستية — أي شبكة الخدمات التي تدعم الحركة المادية للسلع داخل حدود البلد وعبرها. وتأتي درجة المنطقة خلف درجات جميع المناطق الرئيسية في العالم في فئات الأداء اللوجستي الست الرئيسية، بما في ذلك حسن التوقيت والتتبع. وقد أشارت دراسات كثيرة إلى التأثير السلبي لذلك على تجارة المنطقة على مدار أكثر من عشر سنوات. فعلى سبيل المثال، تشير التقديرات إلى أن التأخيرات في الجمارك تؤدي إلى زيادة تكلفة السلع المستوردة بنسبة ١٠٪، وهي

الرسم التوضيحي: ISTOCK/Z_WEI

سبب ونتيجة

عادة ما تحقق البلدان ذات الأداء اللوجستي الأضعف معدلات تطعيم أقل.

(٪ من السكان الذين تلقوا جرعات اللقاح الكاملة)

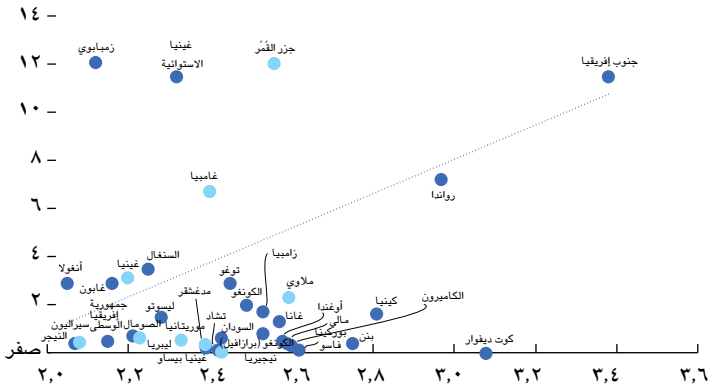

المصدر: نسبة السكان الذين تلقوا جرعات اللقاح الكاملة من نشرة Our World in Data (https://ourworldindata.org/coronavirus#coronavirus-country-profiles). بيانات مؤشر أداء الخدمات اللوجستية من البنك الدولي، مؤشرات التنمية العالمية.

ملحوظة: يشير اللون الأزرق الداكن إلى البلدان التي أتلفت اللقاحات أو تبرعت بها لعدم قدرتها على إعطائها للمواطنين بالسرعة الكافية. وتستخدم تسميات البيانات رموز البلدان الصادرة عن المنظمة الدولية لتوحيد المقاييس.

نسبة أعلى من متوسط تأثير التعريفات الجمركية في بعض الحالات.

ولكن يتضح الآن بصورة متزايدة أيضا إلى أي مدى يمكن أن يؤدي ضعف لوجستيات النقل إلى حدوث انحراف في مسار المحاولات البطيئة بالفعل لتطعيم سكان المنطقة وتحقيق ذلك بسرعة. فبعض اللقاحات تكون فترة صلاحيتها قصيرة بعد أن تتحوَّل تماما إلى الحالة السائلة. ويؤدي ذلك إلى زيادة مخاطر إتلاف الجرعات الصالحة تماما عندما تؤخذ في الحسبان التحديات اللوجستية في المنطقة. وعند إلقاء نظرة متفحصة على الأسباب المذكورة لإتلاف اللقاح، تكون السمة المشتركة هي ضعف الخدمات اللوجستية والبنية التحتية للنقل. ففي ملاوي على سبيل المثال، ذكرت السلطات الصحية أن الأسباب المنطقية لحرق ما يقرب من ٢٠ الف جرعة من لقاح أسترازينيكا هي الفترة القصيرة بين توصيل اللقاحات وانتهاء صلاحيتها والحاجة إلى الحد من ظاهرة التردد في التطعيم.

وتشكل معالجة ظاهرة التردد في التطعيم عاملا حاسما في نجاح أي حملة تطعيم واسعة النطاق، كما يسهم التغلب على التحديات اللوجستية بدور كبير في ذلك. فلن يكون هناك حافز يذكر يشجع الأفراد المتشككين على الحصول على حقنة إذا كان يجب عليهم قَطْع أميال وقضاء ساعات للوصول إلى أقرب مراكز للتطعيم — وغالبا ما تنعدم لديهم الثقة في حضور العاملين الصحيين المؤقتين أنفسهم. كذلك فإن الأماكن التي تعاني من ضعف الربط بالطرق البرية غالبا ما تتسم بإمكاناتها المحدودة أيضا في الوصول إلى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، مما يجعل الحصول على معلومات رسمية عن اللقاحات أمرا صعبا. وبالإضافة إلى ذلك، رغم أن تقريب صناعة اللقاحات من إفريقيا لتسريع الإمداد يعد أمرا مهما لبناء القدرات في المنطقة، فعلى المدى القصير تُعلَّق أهمية أقل على ما إذا كانت اللقاحات تُشحَن من ألمانيا أو جنوب إفريقيا إلى جمهورية الكونغو الديمقراطية، مثلا، إذا انقطعت سلسلة التوزيع في الميل الأخير بسبب فجوات النقل والخدمات اللوجستية.

وقبل نشر اللقاحات على مستوى العالم، أظهر تقييم أجرته منظمة الصحة العالمية لقياس درجة الاستعداد العالمي للتطعيم ضد فيروس كوفيد–١٩ أن متوسط درجة استعداد إفريقيا لبرنامج التطعيم ضد الفيروس بلغت ٣٣٪، وهو أقل بكثير من القاعدة المعيارية المنشودة وهي ٨٠٪ في المجالات الرئيسية، بما في ذلك جودة الخدمات اللوجستية وأداؤها. ويبدو أن البيانات الحديثة تؤكد أن جودة أداء الخدمات اللوجستية ترتبط ارتباطا موجبا بمعدل التطعيم ضد فيروس كوفيد–١٩ في إفريقيا (انظر الرسم البياني).

وفي هذا الصدد، من المثير للاهتمام مقارنة معدلات التطعيم في البلدان التي يكون مؤشر أداء الخدمات اللوجستية لديها منخفض نسبيا (مثل جمهورية الكونغو الديمقراطية) بمعدلات التطعيم في البلدان التي يكون مؤشر أداء الخدمات اللوجستية لديها أعلى نسبيا (مثل جنوب إفريقيا)، حيث سنجد أن انخفاض درجة مؤشر أداء الخدمات اللوجستية في جمهورية الكونغو الديمقراطية والبالغة ٢،٤٣ يعكس مشكلتها مع شبكة النقل الضعيفة للغاية. وقد جعل ذلك توصيل اللقاحات إلى المناطق النائية أمرا صعبا، ويوضح جزئيا السبب الذي يجعل نسبة الذين تلقوا جرعات اللقاح الكاملة من السكان قريبة من الصفر. كذلك فإن جمهورية الكونغو الديمقراطية وغيرها من البلدان الإفريقية غير الساحلية تواجه بطبيعة الحال تحديات الموقع الجغرافي ووفورات الحجم عندما يتعلق الأمر بالربط مع سلاسل العرض العالمية. وقد أدى ذلك إلى حالات تأخير ناجمة عن لوجستيات النقل والتوزيع، مما جعل ملاوي وجنوب السودان وجمهورية الكونغو الديمقراطية غير قادرة على نشر اللقاحات وإعطائها للمواطنين في وقت قصير. وفي المقابل، تَبرز جنوب إفريقيا، التي بلغت درجة مؤشر أداء الخدمات اللوجستية لديها ٣،٣٨، باعتبارها البلد الأفضل

على المدى القصير، من الضروري اتخاذ الإجراءات اللازمة لتحقيق زيادة كبيرة في خدمات توصيل اللقاحات ومعدل التطعيم.

أداءً، بفضل اقتصادها الكبير (الذي يسمح بالاستفادة من وفورات الحجم عند الربط مع سلاسل العرض)، وشبكة خدماتها الصحية المتقدمة والأوسع نطاقا، وسهولة وصولها إلى البحر، وقربها من مراكز النقل الرئيسية. ومن ناحية أخرى، تكون معدلات التطعيم في زيمبابوي وغينيا الاستوائية وجزر القُمُر أفضل نسبيا ولكن درجات مؤشر أداء الخدمات اللوجستية لديها أقل، مما يشير إلى أن هناك عوامل أخرى تسهم في معدل التطعيم في إفريقيا. فعلى سبيل المثال، عندما أعلنت السلطات في زيمبابوي أن الذين يرفضون الحصول على اللقاحات المضادة لفيروس كوفيد-١٩ يمكن حرمانهم من وظائف وخدمات القطاع العام، زاد معدل التطعيم زيادة كبيرة في المدن الكبرى، مما جعل زيمبابوي واحدة من البلدان الإفريقية التي تحقق أعلى معدلات التطعيم رغم ضعف أداء خدماتها اللوجستية.

قَطْع الميل الأخير

بعد معالجة مسألة إمداد اللقاحات، فإن سد فجوات الأداء اللوجستي التي لا تزال مستمرة في كل أنحاء القارة أمر بالغ الأهمية لإحداث تحَوُّل في المسار الحالي للجائحة في إفريقيا. فعلى المدى القصير، من الضروري اتخاذ الإجراءات اللازمة لتحقيق زيادة كبيرة في خدمات توصيل اللقاحات ومعدل التطعيم. والخبر السار هو أنه يمكن التوصل إلى بعض الدروس المفيدة في المنطقة. فعلى سبيل المثال، عندما أطلقت كوت ديفوار حملة التطعيم، كانت المراكز المجهزة لتطعيم ٣٠٠ شخص يوميا تكافح من أجل توفير اللقاحات لما لا يتجاوز ٢٠ شخصا في اليوم. ثم اعتمدت الحكومة وسائل مبتكرة للتغلب على تحدي الميل الأخير. فقد نشرت عيادات متنقلة وحافلات طبية انتقلت إلى أكثر المناطق ازدحاما لتطعيم الناس، وإن كان ذلك بتكلفة كبيرة. وتوجد الآن مراكز تطعيم ثابتة أو متنقلة في ١١٣ مقاطعة، وتعمل معظمها بكامل طاقتها تقريبا. وقد فعلت غانا الشيء نفسه. ويمكن تكرار ذلك في مختلف بلدان المنطقة على المدى القصير بدعم من هيئات التنمية.

كذلك يمكن للمنطقة أيضا الاستفادة من المنصات الرقمية للتسجيل والمعلومات المتعلقة بمدى توافر اللقاحات — واستخلاص الدروس من جنوب إفريقيا. وهناك نظام جديد للمواعيد الإلكترونية يتيح للمواطنين تحديد مواعيد تطعيمهم ضد فيروس كوفيد-١٩ في وقت مناسب ومركز قريب منهم. ومن المتوقع أن يؤدي ذلك إلى زيادة معدل التطعيم عن طريق تقليل مسافة التنقل والسماح للعائلات بتحديد المواعيد معا. وينبغي أن تستهدف حملات التطعيم المدن الكبيرة والمناطق ذات الكثافة السكانية العالية، حيث تكون مخاطر انتقال العدوى أكثر أهمية ويكون اضطراب الأنشطة الاقتصادية شديدا في حالة حدوث إغلاق عام.

وعلى المدى المتوسط، من الضروري تطوير مدخلات البنية التحتية لسلسلة العرض التي تؤثر على أداء الخدمات اللوجستية، ولا سيما قدرات سلاسل التبريد. فاللقاح المضاد لفيروس كوفيد-١٩ يتطلب معاملة خاصة أثناء نقله وعند إعطائه للمواطنين. ويمكن تخزين لقاح أسترازينيكا بأمان في حالة التجمُّد لمدة تصل إلى ستة شهور. ويتطلب لقاحا فايزر ومودرنا درجات حرارة تصل إلى — ٢٠ درجة مئوية أو أقل. لذلك، من المثير للقلق أن مسحا أجرته منظمة الصحة العالمية شمل ٣٤ بلدا توصل إلى وجود فجوات واسعة النطاق في قدرات التبريد الخاصة بسلاسل التبريد في إفريقيا. ففي حوالي ٣٠٪ من البلدان التي شملها المسح، هناك فجوات في قدرات التبريد الخاصة بسلاسل التبريد في أكثر من نصف المقاطعات. وتشير التقديرات إلى أن ٢٨٪ فقط من المرافق الصحية في إفريقيا جنوب الصحراء يمكنها الوصول إلى مصدر طاقة موثوق. ويشكل ذلك عقبات لوجستية في تخزين اللقاحات في معظم المقاطعات. وينبغي أن تكون معالجة هذه القضايا الهيكلية إحدى أولويات التنمية على المدى المتوسط.

وتؤدي لوجستيات النقل والتوزيع ضعيفة الجودة إلى خنق التجارة والقدرة التنافسية، وكما يتضح الآن ستشكل أيضا عقبة رئيسية أمام التطعيم ضد الجائحة بمجرد حل مشكلة النقص الحالي في الإمدادات. وتتيح أزمة كوفيد-١٩ لإفريقيا فرصة الاستفادة من المساعدات المالية التي يقدمها صندوق النقد الدولي وغيره من المؤسسات متعددة الأطراف للاستثمار في البنية التحتية وإجراءات تيسير التجارة التي تدعم الأداء اللوجستي القوي. وستعمل هذه الاستثمارات أيضا على تحسين التجارة والقدرة التنافسية، وتقوية النظم الصحية للتعامل مع الصدمات الحالية والمستقبلية. FD

يوجين بيمبونغ نيانتاكي هو كبير الباحثين الاقتصاديين في بنك التنمية الإفريقي. **وجوناثان مونيمو** هو أستاذ الاقتصاد بكلية بيردبو للأعمال بجامعة سالزبري بولاية ميريلاند.